Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صيغَ في عصر لم تكن اكتشافات طبّ الأمراضِ العقلية والتحليل النفساني قد راجَتْ وصارَتْ في متناوَل العامة (أو نص أنتجَهُ مؤلف معاصر ذو موسوعة محدودة للغاية). وقد يتسنَّى لهذا النص أن يروي لنا قصة غير ذات قيمة، إلاَّ أَنّ الانطباعَ الواضحَ الذي يحدثهُ فينا أَنَّ تمثيلاً لموقف فصاميّ أو لعقدة أوديپ تروح ترتسم أسلاكُهُ، من خلالِ استعمال استعارات هاجسية أو تنظيم نحوي خاص. أيسعنا القول إن هذه البنية تشكل جزءاً من مضمون النص الذي كان دعيَ القارىء النموذجي إلى تأوينه؟

إننا نعني بالتأويل (في إطار هذا الكتاب) التفعيل الدلاليّ لكل ما يَوَدّ النص، من حيث كونه استراتيجية، أن يقولَهُ عبر تعاضد قارئه النموذجيّ. إذاً، قد يكون بوسعنا التأكيد أن نصاً يكشفُ، من خلالِ بُنَاه، عن شخصية مؤلِّفه الفصاميّة أو عن عقدة أوديپ هاجسية لديه، ليس نصاً يتطلّب تعاضد قارىء مثاليّ يجهد في أنْ يكشف عن هذه الميولُ اللاواعية لديه. ذلك أَنَّ الكشف عن هذه الميول وتعريتها لا يعودان إلى مسارِ التعاضُدِ النصيّ. بل الأحرى أن يكون الأمران صنيعَيْ مرحلة متتالية من المقاربة النصية، حيث يعمد القارىء إلى متابعة النص ونقدهِ، بعد أن يكون فعَّل النص عينه تفعيلاً دلالياً؛ وقد يسوّغ لهذا النقد أن يضع لنفسهِ أهدافاً عديدة: تقويم النجاح «الجماليّ» (أياً يكن التعريف الذي يُعطى لهذا الأثر)، وتقويم العلاقات بين الإيديولوجية، والحلول الأسلوبية التي يطرحها المؤلف والوضع الاقتصادي، والبحثِ عن البُنَى اللاواعية (التي تخرج عن نطاقِ المضمون الذي يؤثره المؤلف). لذا فإنّ استقصاءات نفسانيةً، ومرضية ـ عقلية وتحليلة ـ نفسانية كهذه، ولئن كانت هامة ومثمرة، فإنها قد تعاود «استخدام» النص لغاياتٍ توثيقية، وبالتالي فإنها تقع في مرحلة تالية لتفعيله (النص) الدلالي (حتَّى لو أمكن المسارَيْن أن يتحدّدا بصورة تضافرية ومتبادلة). كما لو أنه إزاءَ جملة [أعترفُ بكل شيء] يكون على التعاضد النصّي أَنْ يضع التوضيحات الدلالية موضعَ الإثبات، وأن يحدِّد المدار، وأَنْ يستوضح بالإجمال المسلَّمات والظروف التي حثَّت على بَثِّ هذا الفِعل اللساني؛ وكما لو أَنَّ استخدام النص، في معرض تشهيده على أَنَّ المتكلمَ، في المقابل، هو مذنب لاقترافِهِ جنحةً